وفي عام النفي، كتب زعيتر مقالاً مطوّلاً نشر في جريدة اليرموك، في ثلاث حلقات، وكان بعنوان: «صيحة للمخلصين، ودعوة للجهاد» (١)، دعا فيه لإنقاذ الوطن، وضرورة قيام جامعة عربية، تدرأ الخطر عن فلسطين. وتعرض فيه لمسألة الأراضي، وضرورة النهوض بالإعلام والدعاية الداخلية، لفضح دور الإنتداب والمخطط الصهيوني الرامي لسلب الوطن. وبعد انتهاء فترة الإبعاد، عاد زعيتر إلى القدس، وتولى رئاسة تحرير جريدة «الحياة» المقدسية. وقد أخذت «الحياة»، أثناء تولّيه رئاسة تحريرها، طابعاً قومياً واضحاً، وعالجت العديد من القضايا البارزة يومذاك، وفي مقدّمتها قضية الاستقلال الوطني، والقضايا القومية عموماً. كما انتقدت التشكيلات السياسية الفلسطينية التي كانت قائمة، وحددت موقفها من مسألة النضال الإجتماعي والإقتصادي، مما أثار السلطات البريطانية، فقامت، في الثالث من أيلول (سبتمبر) ١٩٣١، بدعوة زعيتر للمثول أمام المحكمة مجدّداً، وتحدد يوم السابع من أيلول (سبتمبر) ١٩٣١ موعداً لمحاكمته، وللتحقيق معه بشأن أربع مقالات كان قد نشرها في «الحياة» موقعة باسمه الصريح (٢).

وبعد المحاكمة توقّفت «الحياة» عن الصدور، مما أثار الصحافة الفلسطينية آنذاك، فتداعى أهلها لعقد مؤتمر لهم في يافا في ١٨ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٣١، لدراسة ما حل «بالحياة» وبرئيس تحريرها أكرم زعيتر، والمخاطر التي تتهدّد الصحافة الوطنية الفلسطينية، أصدروا في ختامه بياناً جاء فيه: «يقرّر المؤتمر بصورة خاصة، استنكاره توسّل السلطات أخيراً بقانون منع الجرائم لكم أفواه الصحافة، وتقييد حريتها. وشروعها بتطبيقه على الصحافيين العرب، كما جرى أخيراً أثناء محاكمة الأستاذ أكرم أفندي زعيتر محرر جريدة 'الحياة' ، ويرى المؤتمر ان هذا العمل سابقة خطيرة في تاريخ الصحافة، ليس في فلسطين فحسب، بل في العالم أجمع. ويعتبر أن الإلتجاء، في الإنتقام من الصحافة، إلى قانون شاذ كهذا، إنما هو اعتراف من الحكومة بإفلاس سياستها، وتوسّلها، بوسائل شاذة إستثنائية، لخنق حرية الفكر المقدّسة» (٣).

واثر هذه المحاكمة عاد زعيتر إلى نابلس، مدرّساً في كلية النجاح، حيث أسهم بتأسيس «جمعية العناية بالمساجين العرب». وكان أحد شروط الإنتساب إلى هذه الجمعية، أن يكون العضو المرشّح قد اعتقل، وأودع السجن بتهمة مناهضة الإستعمار. وقد تولّت هذه الجمعية الإهتمام بشؤون المعتقلين السياسيين، بعد أحداث ١٩٢٩ ــ ١٩٣١. وكتب زعيتر، العديد من المقالات للدفاع عن حرية المساجين، في جرائد: «الدفاع»، «الجامعة الإسلامية»، «الجامعة العربية»، و«الصراط المستقيم».

ووسط هذه الارهاصات العديدة، واثر انعقاد المؤتمر العربي القومي في أواسط كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣١ في منزل عوني عبد الهادي، تداعى القوميون العرب في فلسطين لتأسيس كيان سياسي لهم. وقد أجمعوا على تسميته «بحزب الاستقلال العربي»، تيمّناً باسم الحزب القومي في دمشق، ابان العهد الفيصلي. وقد كان زعيتر، من المؤسسين لهذا الحزب وعضواً في هيئته المركزية، وشارك في جميع نشاطاته بحيوية فائقة، خطيباً في مهرجاناته، وكاتباً في مجلة «العرب»، وعضواً في تحركاته ونشاطاته السياسية. وامتاز